وثيقة اقتصادية تاريخية

العلاقات الزراعية في بنيان الاقتصاد الفلسطيني قبل الحرب العالمية وحتى اواخر العشرينات

ندّاب●

مقدمة:

سادت العلاقات الاقطاعية ـ البطريركية في القرية العربية في فلسطين التي كانت جزءا من سوريا. فلقد كان الاساس التقني للاقتصاد الزراعي متدنيا الى حد كبير، وكان للصناعات الحرفية مكانا ملحوظا في بنية هذا الاقتصاد. فمن المعروف ان التكنيك البدائي يميز الاقتصاد الفلاحي، بيد ان القرى المتواضعة في جوار المدن كانت تشذ عن هذه القاعدة. وقد كان الفلاح يؤمن جميع حاجياته تقريبا، بدون ان يخرج عن نطاق قريته. وكانت عملية طحن الحبوب تتم بواسطة طواحين الماء التي تقدم هذه الخدمة في منطقة بكاملها. غير ان الشكل الرئيسي لطحن الحبوب كان يتم بواسطة المطحنة اليدوية ضمن ملكية الفلاح نفسها.

اما اللباس والاحذية، التي كانت خفيفة جدا نظرا لظروف المناخ، فنادرا ما كان الناس يشترونها، مرة واحدة فقط كل عدة سنوات. اما المحاريث فكانت تشترى من المدن. والادوات المنزلية كان يصنعها الحرفيون الغجر المتجولون. فالزراعة كانت على ارتباط ضعيف جدا في الصناعة المنزلية، لذا، فقد تفسخ بسرعة البناء البطريركي تحت الضغط الاقتصادي والسياسي للامبريالية الانجليزية. اما التجارة فكانت تجارة مقايضة. وباعتبار ان الفلاحين نادرا ما كانوا يشترون من المدن لكونهم يدفعون الضريبة الرئيسية الى الدولة ويعانون من اعباء اجرة الارض المستأجرة ومن تسديد ديونهم الذي كان يتم بالشكل العيني (الطبيعي)، فانهم كانوا يبيعون منتوجاتهم الى المدينة بكميات قليلة. ان حاجة المدينة الى القمح وسواه من المنتوجات كان يلبيها بشكل اساسي الاقطاعيون وجباة الضرائب. هذا، ولقد ادت حالة السكك الحديدية وسائر طرق المواصلات الى عزلة القرية وتعزيز انغلاقها وانفصالها عن المدينة. فمنذ عام ١٩٠٢ بوشر في بناء سكك الحديد وفي تعبيد طرق السيارات التي كانت قليلة جدا، وكانت عموما في حالة رديئة جدا.

أ ـ البنية الاجتماعية للقرية:

على اساس الاقتصاد الطبيعي توضع وتثبت البناء البطريركي في القرية العربية على

● مؤلف هذه الدراسة ناحوم ليشنسكي، عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي الفلسطيني الذي كان يوقع مقالاته باسم ندّاب.